جامعة عبر الرحمان ميرة –بجاية–

كلية الآداب واللغات **السنة الثانية**

قسم اللغة والأدب العربي **التخصص: أدب**

المقياس: (مدخل إلى الأدب المغاربي) **الأستاذة: بونوار**

دروس مقياس " مدخل إلى الأدب المغاربي"

(السداسي الأول)

الأفواج: 8 – 9 – 10

السنة الدراسية: 2022/2021

الدرس الأول:

الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية

-إشكالية الانتماء والهوية-

(الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية)

لقد خضع المغرب العربي لاستبداد الاستعمار، لذلك يدخل الأدب المكتوب باللغة الفرنسية ضمن الفرانكفونية التي انتهجتها فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي من أجل تحقيق أهداف سياسية واقتصادية. وإن إشكالية اللغة الفرنسية في المغرب لم تقتصر على مجال الأدب فقط، بل شملت الظروف التاريخية على اعتبارها من مخلفات المستعمر، والسياسة من منطلق الاستلاب الثقافي والتبعية الثقافية للمستعمر، والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية. ويشير الكاتب المغربي (عبد السلام البقالي) إلى أنّ رغبة الفرنسيين هي الإبقاء على جذوة لغتهم وحضارتهم مشتعلة في دول المغرب العربي الذي أوشك على الإفلات منهم ثقافيا، كما أفلت سياسيا[1].

وتولدت ظاهرة الفرانكفونية في المغرب العربي ضمن سياق تاريخي سياسي استعماري مخطط له، وذلك لفرض الهيمنة الاستعمارية، وطمس المعالم الروحية والثقافية واللغوية، والهوية المغاربية، حيث انبثقت تجربة الكتابة باللغة الفرنسية لأول مرة لدى إدريس الشرايبي في المغرب، ومحمد ديب ومولود فرعون في الجزائر، ومحمد عزيزة في تونس (وتجدر الإشارة إلى أن الكاتب المغربي "عبد الكبير الخطيبي" من المنظرين الأوائل لمصطلح " المغاربية" في الأدب باعداده في نهاية الستينيات دكتوراه في السوسيولوجيا حول موضوع: "الرواية المغاربية" بجامعة السوربون بفرنسا.

---

[1]- ينظر: رضوان السائحي، "الأدب المغاربي المكتوب بالفرنسية وإشكالية الانتماء"، 2019/02/05، 13:51:04، المغرب، http://www.fikrmag.com/article_details.php?article_id=846 .

منذ بروز الأدب المغاربي المكتوب بالفرنسية نشرت 37 رواية في الفترة ما بين عام 1945 وعام 1964، و17 رواية بين عام 1965 وعام 1972، في مقابل هذا الكمّ نشرت ثلاث روايات باللغة العربية. أما في تونس والمغرب فبلغ مجموع الروايات التي كتبت بالفرنسية 21 رواية مقابل 35 رواية بالعربية وكانت كتابات الجيل الأول من الكتاب الفرانكفونيين تعبر عن هموم الشعب في دفاع شرعي عن البلد ضد المستعمر، لكن في أواخر السبعينيات تغيرت الرؤى، واهتمت هذه الكتابة بالتجارب الفردية، خصوصا في المجال الروائي، وتمحورت حول التجارب الشخصية كالسيرة الذاتية[2].

إذا كان بعض المغاربة تأثروا في بداية الاستعمار باللغة الفرنسية مما مكّنهم من الاطلاع على الأدب الفرنسي، والتعرف على مدارسه الأدبية، فأتقنوا هذه اللغة، واستطاعوا أن يعبّروا عن واقعهم بواسطتها، وحازوا على جوائز أدبية كبرى في فرنسا، وجوائز فرنسية في البلدان العربية.

- يتميز الأدب المغاربي بالجدّة والابتكار جماليا وفكريا، والمطلّع على الأدب المغاربي، يعثر في نصوصه محافظة على هوية المكان والزمان والشخصيات، ويدخل في التجريب، بكل ما فيها من التقنيات السردية والشعرية، والتناص، والتاريخ[3].

---

[2]- ينظر: المرجع نفسه.

[3]- ينظر: سعاد العنزي، "الأدب المغاربي بين التمسك بالأصول والتحليق فوق أفق التجريب"، 2009/09/29، 14:55، الجزائر، (موقع الكتروني).

الدرس الثاني:

الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية

-الرواية-

- النشأة والتطور

- إشكالية الانتماء والهوية

1- الأدب الكولونيالي

أ- الأدب الكولونيالي: الرواية الاندماجية

ب-الأدب الكولونيالي الثوري

ج-رواية ما بعد الاستقلال

د-الأدب الاستعجالي (رواية الأزمة)

النشأة والتطور:

ولد الأدب الجزائري من عوامل كثيرة أبرزها الاحتلال الفرنسي للجزائر والذي اتخذ من سياسة التجنيس وسيلة لطمس الهوية الجزائرية هن طريق: حظر تعليم اللغة العربية ومحاربة المدارس القرآنية والزوايا... وغيرها. وفي المقابل قام الاحتلال الفرنسي بتشجيع الحملات التبشيرية وانشاء المدارس الفرنسية وزرع الأفكار التي تشيد بفرنسية الجزائر وحق فرنسا في امتلاك الأرض وحكم الشعب.

إشكالية الانتماء والهوية:

من بين أهم الإشكاليات التي أثيرت حول الأدب المغاربي الذي كتبه الجزائريون باللغة الفرنسية في الفترة الاستعمارية، إشكالية **هوية** هذا الأدب، وإلى أي جهة ينبغي أن

ينسب؟ أيعد أدبا فرنسيا، كما يرى بعضهم، نظرا إلى اللغة التي كتب بها، وإلى الجمهور الذي كان يتوجه إليه أم يعد أدبا جزائريا باعتبار "الروح" التي كتب بها.

وتُعد ظاهرة الكتابة بلغة المستعمِر، ليست خاصة بالجزائر وحدها، فقد عرفتها بنسب متفاوتة معظم بلدان إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، التي كانت خاضعة للاستعمار الفرنسي، كما أنها ليست ظاهرة – الكتابة بلغة المستعمِر– خاصة بالاستعمار الفرنسي وحده فقد وجدت في أغلب البلدان التي احتلتها الدول الأوروبية في القارات الثلاث. وعليه، فإن الأسئلة التي طرحت وتطرح فيما يتعلق بالأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية هي أسئلة مطروحة أيضا بالنسبة للأدب الأسيوي، والإفريقي، والأمريكي اللاتيني المكتوب باللغات الأوروبية[4].

1) الأدب الكولونيالي:

تخرجت النخبة المثقفة الجزائرية من المدارس المختلطة، واتخذوا من اللغة الفرنسية وسيلة للدفاع عن حقوق الشعب الجزائري، من خلال كتابات قصصية وروائية تحاكي الواقع وتفضح زيف الإدراة الفرنسية في الجزائر. ومن بين هذه الأعمال الأدبية: قصة قصيرة بعنوان "انتقام الشيخ" لمحمد بن رحال ونشرتها "المجلة التونسية الأدبية والفنية" في العدد الثالث (26 سبتمبر–03 أكتوبر 1891)، وأول سلسلة من القصص كتبها أحمد بوري تحت عنوان "مسلمون ومسيحيون" ونشرت في صحيفة الحق سنة1912 [5].

أ– الأدب الكولونيالي: الرواية الاندماجية:

يعتبر مؤرخ الأدب الجزائري باللغة الفرنسية "جان ديجو" (Jean Dejeux) **سنة** 1920 البداية الفعلية للأدب الجزائري باللغة الفرنسية وذلك تزامنا مع صدور أول رواية بعنوان "أحمد بن مصطفى القومي" لـ القايد بن الشريف. وتلتها رواية أخرى: " زوجة المنجمي" لصاحبها عبد القادر حاج حمو سنة 1925[6].

---

[4]- ينظر: أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائر، 2007، ص 133 و134.

[5]- ينظر: حبيبة فاطمة الزهراء، ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية رواية بماذا تحلم الذئاب لياسمينة خضرا دراسة تطبيقية (رسالة ماجستير)، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة معهد الترجمة، 2016/2015، ص 29.

[6]- ينظر: م ن، ص ن، ص 29.

ومن أهم الأعمال التي أنتجت كذلك في فترة (1920–1930) نذكر: روايتي "مأمون بدايات مثل أعلى" لشكري خوجة الصادرة سنة 1928، ورواية "العلج أسير بربروسيا" سنة 1929.

أما الروايات التي صدرت لاحقا فقد اهتمت بتصوير انتماء الجزائريين الذي شتته الاستعماري بين قيمه الوطنية (العروبة والإسلام والأمازيغية)، ومن بين هذه الأعمال نذكر: رواية "مريم بين النخيل" سنة 1934 لـ محمد ولد الشيخ، " بولنوار، الجزائري الشاب" لرابح زناتي، ورواية "ليلى فتاة جزائرية" لجميلة دباش، هذه الروايات تدور في فلك البحث عن الذات، ومنهم من ساندوا فكرة الاندماج والتعايش بين الأهالي والأوروبيين.

لقد اعترى التغيير على سمات الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية – الاندماج مع فرنسا– إلى الوعي بحقيقة المستعمر الفرنسي، انطلاقا من أحداث مجازر 08 ماي 1945[7].

ب– الأدب الكولونيالي الثوري:

لقد ازدهر الانتاج الروائي بعدما وضعت الحرب أوزارها – مجريات الحرب العالمية الثانية–، ويعزو مولود فرعون ذلك لتطور الحس الفني والشعور بالحاجة إلى الانعتاق وإمكانية تحقيق الاستقلال والحرية. شهدت سنة 1948 صدور روايتين الأولى بعنوان: "إدريس" لعلي الحمامي والثانية بعنوان "لبيك" لمالك بن نبي، والملاحظ في مضامين هذه الروايات تصوير الواقع البائس للجزائريين وفضح زيف المستعمر الفرنسي. ومن بين هذه الروايات التي عالجت هذا الواقع (الفقر والجوع والمناضلين ضد الاحتلال) رواية " الدار الكبيرة" لمحمد ديب سنة 1952، كما كشفت الروايات التي توالت بعدها لاسيما روايتي "الجريق" الصادرة سنة 1954 و"النول" الصادرة سنة 1957، رواية "نوم العادل" لمولود معمري الصادرة سنة 1955. كذلك لم يتهاون الكُتاب من تصوير وقائع الثورة المسلحة (المقاومة والتعذيب الفرنسي)، وكمثال: رواية "الانطباع الأخير" الصادرة سنة 1958، " التلميذ والدرس" الصادرة سنة 1960 و

[7]- ينظر: المرجع نفسه، ص 29-31.

"رصيف الأزهار لا يجيب " الصادرة سنة 1961 لمالك حداد، ورواية "صيف إفريقي" لمحمد ديب الصادرة سنة 1959.

ج- رواية ما بعد الاستقلال:

لم تتوقف الكتابة الروائية بعد الاستقلال عن معالجة قضايا الثورة الأليمة وتصوير مآسيها، ونذكر أمثلة عن روايات فترة الستينات منها رواية "أطفال العالم الجديد" سنة 1962 لآسيا جبار ورواية " الأفيون والعصا" سنة 1965 لمولود معمري، ورواية "أصابع النهار" سنة 1967 لحسين بو زاهر وأيضا رواية "أسلاك الحياة الشائكة" سنة 1962 لصالح فلاح[8].

كان اختيار الكتاب الجزائريين العيش خارج الجزائر بعد سنة 1965 – بعد الانقلاب العسكري الذي قاده هواري بومدين- سببا في ميلاد أدب النزعة الاحتجاجية الاجتماعية والسياسية، حيث نددوا بتحول الحكم على يد العسكر وانتقدوا الأوضاع الاجتماعية السيئة التي يعيشها الشعب، ومن بين هذه الروايات نذكر منها: روايتي "رقصة الملك" سنة 1968 و " اله البربر" سنة 1970 لمحمد ديب، وروايتي "التطليق" سنة 1969 و رواية "ضربة شمس" سنة 1972 لرشيد بوجدرة.

قد استمر هذا التوجه الروائي طوال فترة نهاية الستينيات والسبعينيات، ونشير كذلك إلى الروايات التي ظلت على نسقها الأول والتي صدرت في فترة السبعينيات والثمانينيات والتي كانت موضوعاتها حول الثورة والتحرر، وأخرى سلطت الضوء على الأوضاع الاجتماعية والسياسية، وكذلك موضوع السيرة الذاتية الذي كان حاضرا على الدوام في الروايات الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية[9].

د- الأدب الاستعجالي (رواية الأزمة):

تناولت الروايات في فترة أواخر السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي مواضيع المجتمع آنذاك المتمثلة في الظواهر التي شوّهت القوام المجتمعي مثل الانتهازية والرشوة

---

[8]- ينظر: حبيبة فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص 32 إلى 35.
[9]- ينظر: م ن، ص36.

والجهوية وغيرها، ولا تخلو هذه الروايات من النزعة الأيديولوجية حيث دافع كل كاتب عن آرائه ومبادئه وتوجهاته، أما في التسعينيات فقد برز الخطاب السياسي في اغلب الكتابات الروائية. ومن أهم الروايات التي واكبت الأحداث نجد روايات رشيد ميموني: رواية "شرف القبيلة" سنة 1989، رواية "حزام الغولة" سنة 1990 ورواية "اللعنة" سنة 1993.

- ✓ السبب الرئيسي وراء هذه التسمية الأدب الاستعجالي هو أن العديد من الكتاب سقطوا في نوع من التسرع والتبسيط وانساقوا وراء الأحداث المهولة والمتسارعة فجاءت في أعمالهم أقرب إلى التصوير الفوتوغرافي والتحقيقات الصحفية منها إلى الكتابة الفنية الراقية وسميت برواية الأزمة والمحنة لأنها عكست الواقع المتأزم وعايشت الأزمة التي مرت بها الجزائر طوال عشرية كاملة[10].

[10]- ينظر: حبيبة فاطمة الزهراء، ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، المرجع السابق، ص 37-38.

الدرس الثالث:

الــصراع الحـضـاري

–الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية–

1) مرحلة الاعجاب والتقليد للمُستعمِر

- الاتصال غير المباشر (المشروع التبشيري، رد فعل المجتمع، قطع الصلة)
- الاتصال المباشر (تقليد الأجنبي، الهجرة، التجنيد)

2) الاصطدام بالواقع وخيبة الأمل

- الواقع الأوروبي المرّ
- تمزق وضياع المواطن المغاربي(الجزائري)

3) العودة إلى الأصل

- بدء الوعي لدى الجزائري
- البحث عن الذات
- العودة الحتمية لأرض الوطن

لقد تجسد الصراع الحضاري في روايات الكُتاب المغاربة أمثال: مولود فرعون، مولود معمري بالجزائر، ألبير ميمي بتونس، إدريس شرايبي بالمغرب الأقصى. والسؤال المطروح في هذا السياق، هل تتباين وجهات نظر هؤلاء الكتاب إلى الموضوع بتباين أمزجتهم النفسية أو قناعاتهم المذهبية أو انتماءاتهم الاجتماعية أو رقعهم الجغرافية ؟.

إنّ القواسم المشتركة المتمثلة التي تجسيد انعكاسات الصراع الحضاري على النخبة المغاربية المثقفة في الأعمال الروائية المغاربية يعود إلى التكوين الواحد في المدارس الفرنسية، وعاشوا مختلف تناقضات عالمين متصارعين، أحدهما متطور يريد فرض ذاته بتغييب الآخر (المستعمِر)، وثانيهما متخلف يحاول إبراز أصالته بالصمود والتصدي (المُستَعمَرات).

فلا غرابة أن نجد إذا تشابها وتقاربا فكريا في كيفية تصويرهم معاناتهم وإبراز آلامهم بعد خيبة أملهم. ويعود السبب إلى طبيعة المستعمر الواحد الذي لا تختلف نواياه في السيطرة على الأوضاع في البلد المُستعمَر. نستخلص إذن، أن الصراع الحضاري انعكس على أبطال الروايات المغاربية الذين رفضوا الشرق كما رفضوا الغرب[11]. (ص5)

ظهرت الحركات الوطنية كبديل للمقاومات المسلحة الفاشلة بعد أن سيطر المستعمر الفرنسي على ممتلكات وأراضي مستعمراته، وهذا ما دفع بالإنسان المغاربي اختيار الهجرة نحو فرنسا بحثا عن العمل. ومع أحداث الحرب العالمية الثانية، تشكلت لدى المهاجرين المغاربة صحوة وطنية نتيجة احتكاكهم بمختلف الأطراف الحزبية منها الحزب الشيوعي، ثم ظهر حزب" نجم شمال إفريقيا" يطالب بحقوق المغاربة، وحركات سياسية بمختلف اتجاهاتها الليبرالية والثورية تنادي بتشجيع الأهالي بتعليم أولادهم في المدارس الفرنسية. وبالمقابل ظهرت حركات إصلاحية دينية نادت بالتعليم العربي في إطار الدين الإسلامي كرد فعل على جماعة النخبة (من الأهالي) الذين تبنوا مشروع الرسالة التحضيرية لفرنسا: تحضير هذه الشعوب المتخلفة، ورفعها إلى مستوى البلدان المتحضرة عبر الدين؛ عن طريق الحملات التبشيرية لاعادة المسيحية إلى المغرب العربي، وثانيا عن طريق المدرسة؛ لتحقيق سياسة الاندماج ونشر أفكارها في أذهان الشباب المغاربي لمحاربة قيم مجتمعاتهم[12].

[11]- ينظر: إسماعيل حاجم، الصراع الحضاري في الرواية الفرانكفونية المغاربية، دط، دار الأمل، الجزائر، 2007، ص 06.
[12]- ينظر: م ن، ص ن.

الدرس الرابع: تطبيقي

الصراع الحضاري في رواية: "ابن الفقير، الدروب الوعرة، الأرض والدم"

لـ مولود فرعون

سنحاول من خلال رواية "**ابن الفقير، الدروب الوعرة، الأرض والدم**" لـ **مولود فرعون** البحث عن التقاطعات المشتركة في تجسيد انعكاسات الصراع الحضاري على أبطال وشخصيات هذه الروايات وكيف تجلى تقاربهم الفكري وتصويرهم لمعاناتهم وإظهار آلامهم بعد خيبة الأمل من المجتمع الأوروبي.

ملاحظة: سنعرض بعض المقاطع من هذه الروايات كأمثلة، لنثري عناصر الموضوع –الصراع الحضاري في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية– فقط، لا تعتبر دراسة كاملة.

للإفـــــــادة:

السيرة الذاتية للكاتب:

ولد في 08 مارس 1913 م في تيزي هيبل (تيزي وزو) من عائلة فقيرة التحق بالمدرسة الابتدائية في تيزي وزو بقرية تاوريرت موسى، يعد من التلاميذ النجباء رغم الظروف الصعبة المحيطة به. التحق بالثانوية بتيزي وزو أولا وفي مدرسة المعلمين ببوزريعة بالجزائر العاصمة، ثم تخرج معلما واشتغل في المدرسة التي استقبلته تلميذا (بقرية توريرت موسى) سنة 1946. وعُيّن في سنة 1952م في إطار العمل الإداري التربوي بالأربعاء ناث إيراثن، أما في سنة 1957م فقد التحق بالجزائر العاصمة مديرا لمدرسة (نادور)، وفي سنة 1960م عُين مفتشا لمراكز اجتماعية أسسها أحد الفرنسين سنة 1955 م وهي الوظيفة التي اشتغل فيها قبل أن يسقط برصاص الغدر والحقد الاستعماري في 15 مارس 1962م.

مؤلفاته: ترك مولود فرعون عدة مؤلفات أدبية بالإضافة إلى الكثير من المقالات...

- أيام قبائلية: ويتكلم فيه عن عادات وتقاليد المنطقة طبع سنة 1954م.
- أشعار سي محند طبع سنة 1960م.
- ابن الفقير: كتبها في شهر أفريل سنة 1940م
- الذكرى طبع سنة 1972م
- الدروب الوعرة سنة 1957م
- الأرض والدم طبع سنة 1953م
- مدينة الورود طبع سنة 2007م
- رسائل إلى الأصدقاء طبع سنة 1969م وكلها تتكلم عن المعاناة الجزائرية تحت ظلام الاستعمار والمحاولات العديدة لطمس هويته من تجهيل ونشر للمسيحية.
- مقالات عديدة وكثيرة نشرت في عدة طبعات فرنسية وجزائرية[13].

لمن يريد تحميل الروايات والاطلاع عليها:

- رابط رواية **ابن الفقير Le Fils du Pauvre** : https://www.noor-book.com/كتاب-ابن-الفقير-pdf
- رابط رواية **الدروب الوعرة Les Chemins qui montent** : **https://www.noor-book.com/كتاب-مولود-فرعون-روايه-الدروب-الوعره**

[13]- المرجع: https://ar.wikipedia.org/wiki/مولود_فرعون

- رابط رواية **الأرض والدم La Terre et le Sang:**
https://august.copcotweaked.site/bf653a0806/287f5dd25ca4c50758c34df315903fcd

1) مرحلة الاعجاب والتقليد:

يتمحور حول رغبة أبطال الروايات المغاربية في تبليغ مشروع الرسالة التحضيرية بشكل مفاجيء وسط ذويهم الذين يشكلون الأغلبية. من هنا، ينشأ ردّ فعل عنيف تجاه هؤلاء الأبناء الذين تحدوا آباءهم، بعد أن تعدوا على معتقداتهم الدينية المقدسة.

وحين لم ينجح الأبناء في فرض أفكارهم الجديدة، أصيبوا بخيبة الأمل، وعليه قطعوا الصلة بمجتمعاتهم جراء الصراع الحضاري الذي كان محليا في بدايته، وارتمى الأبناء في حضن الحضارة الغربية الراقية. وأعجبوا بالأفكار الغربية فقلدوهم بشكل مباشر مظهرا وجوهرا عبر: الهجرة، التجنيد في الجيش الفرنسي، السفر إلى أوروبا من أجل العمل والتعليم[14].

في الوقت الذي كان الاتصال الأول اتصالا غير مباشر، تم في المدارس الفرنسية، من خلال برامجها ومعلميها ومبشريها.

مثال: في رواية "**ابن الفقير" لمولود فرعون**، يكشف بطلها **منراد فورولو** عن أحلام أبيه وطموحاته تجاه المدرسة الفرنسية، ليجنب ابنه المصير السيء في بلده وكذلك يجنبه مشقة الهجرة والعمل في الاعمال الشاقة في مصانع فرنسا، مما جعله يقول لزوجته: **(أسرعي، أسرعي، اغسليه كله يديه ووجهه ورجليه أتعتقدين أنّ الشيخ يقبل بهذا القرد؟ ... ويسرد فورولو أنهم نظفوه بسرعة، ثم بعد خمس دقائق ... حللت بفناء المدرسة الفسيح، وهي تعج بالتلاميذ عجا).** ما يعني أن الدخول إلى المدرسة والنجاح في الدراسة سيغير حالة الأسرة البائسة[15].

---

[14]- ينظر: إسماعيل حاجم، المرجع السابق، ص 28.
[15]- ينظر: م ن، نفس الصفحة.

كذلك لجأ المُستعمِر إلى سياسة نشر الدين المسيحي وهذا بتقديم مأوى وطعام للتلاميذ المحتاجين بغرض إبقائهم تحت تصرف المبشرين على الدوام، للتأثير عليهم بشكل فعال في مجال التنصير، لذا استفاد منراد فورولو وزميله من السكن المجاني بمقر المبشر لامبير Lambert، وعليه بامكانهما متابعة الدراسة وأداء الواجبات الدينية، من قراءة وحفظ الآيات من التوراة والانجيل مساء.

فها هي **ذهبية** بطلة رواية "**الدروب الوعرة**" **لمولود فرعون** تتردد على الكنيسة، وسنها لم يتجاوز الثانية عشرة. تؤكد أنه لا يفوتها شيء مما يقوله الخوري إذ تتابعه بكل اهتمام. مقطع من الرواية **(وإذا سبقها الخوري إلى الأسئلة التي تجيش في نفسها، فإنها تشعر بالرغبة في أن تذهب إليه لتقبّل رأسه كما يفعل المسلمون)**.

الدرس الخامس: تابع لـ الصراع الحضاري في رواية: "ابن الفقير، الدروب الوعرة، الأرض والدم"

لـ مولود فرعون

2) الاصطدام بالواقع وخيبة الأمل:

كان الواقع الأوروبي في الحقيقة لم يكن كما كان متصورا في أذهان المثقفين المغاربة حين هاجروا نحو أوروبا في سبيل الانتماء إلى الحضارة الراقية. لم يحقق المهاجرون الاندماج مع المجتمع الأوروبي، بل صدّهم الأوروبي ورفضهم، حيث عاملهم باهانة وعنصرية، وأحسوا بالضياع وبخيبة الأمل من جهة الغرب هذه المرة (المستعمِر). وهذا مكنهم من كشف زيف الحضارة الغربية، بعد مرحلة بدء الوعي[16].

[16]- ينظر: إسماعيل حاجم، م س، ص 07 و 29.

مثال: في روايات **مولود فرعون** بشكل عام: **ابن الفقير، الأرض والدم، الدروب الوعرة**، يجد القاريء أنّ موضوع الهجرة حاضر بشكل لافت للنظر، وذلك باعتبارها إحدى قنوات الاتصال الأساسية بين الجزائر وفرنسا. وللاشارة هنا، لا نكاد نعثر على الصدام الحضاري في رواية ابن الفقير التي تجسد معاناة الجيل الأول في التكيف مع الأوضاع الغربية الجديدة، نتيجة جهلهم اللغة الفرنسية. رمز الكاتب إلى ذلك من خلال شخصية **رمضان والد فورولو** بعد عودته من فرنسا كان يصر على ابنه بضرورة تعلم اللغة الفرنسية كوسيلة تمكنه من الدفاع عن حقوقه.

ويتجلى الصراع في الرواية الثانية **لمولود فرعون** تحت عنوان **الأرض والدم**، على لسان **عامر أوقاسي** البطل الرئيسي الذي يرمز إلى الجيل الثاني، بالإضافة إلى تعلمه اللغة الفرنسية واتقانهاص 71، وهذا لم يشفع له ولا لبقية المهاجرين المغاربة من المعاملة السيئة من طرف الأوروبيين لهم، اكتشف عامر أوقاسي التمييز العنصري وما يكنه الأجانب لأبناء بلده من حقد وكراهية، مقطع من الرواية على لسان **البطل (إن الفلنديين ... يتعاونون بينهم، ويكرهون القبائل. ولم يختلف البولونيون عنهم. في حين يتقاضى القبائل راتبا أقل منهم ...، وعليه فبدل أن يتوحدوا ويتعاونوا، يتشاجرون ويتحاقدون)**[17].

ويتجلى كذلك في رواية "**الدروب الوعرة**"، وذلك أن شخصية **عامر نعمر** لم يعد يشعر بمضايقات الجيل الأول. بالعكس، كله عزم لتحقيق أمنياته، خصوصا إذا علمنا أنه يستطيع التكيف مع ذويه، بحكم ثقافته(...) لذا سافر عامر نعمر بعد تذمره من أهل إغيل نزمان ناويا ألا يخالط أبناء قومه أو غيرهم من العرب، إضافة إلى أنه ابن الرومية كما هو متداول في قريته. فيقول: **(أنا أعرف أيها الأغبياء أنكم لا ترحبون بي، ولكن أين تريدونني أن أذهب؟ هل تعتقدون أنّ أخوالي الفرنسيين يرحبون بي؟ أنتم مخطئون، اسألوا أولادكم، ممن كان معي في فرنسا، يخبرونكم عن سيرتي في بلاد أخوالي (...) هل رضيت ولو لمرة واحدة بالهوان، وكيف كنت أنال حظي من الإهانة على يد السلطات؟ وكيف أقاسمهم المعيشة**

---

[17]- ينظر: م ن ، ص 73.

التعسة في الغرفة الحقيرة ولقمة العيش المرّة في باريس وغيرها من المدن). يبدو أنّ الاستقبال لم يكن كما كان متوقعا، يكشف عن واقع مرّ للمغاربة في بلاد الغربة[18].

3) العودة إلى الأصل:

من صدمة المغاربي بحقيقة أوروبا يولد زمن الوعي الذي يؤدي حتما إلى مرحلة البحث عن الذات المغاربية التي لا يمكن أن تتحقق إلا بالعودة إلى الأصل والالتحاق بالوطن الأم. وهذه العودة طبعا، لا تتم بشكل طبيعي أي الانسجام من جديد مع ذويهم (الوطن)، بحكم تأثير مثاقفتهم، وتشبعهم بأفكار مغايرة لمجتمعاتهم الأصلية التي لا ترضى بالأفكار الدخيلة، لذا انتهت كل الروايات نهاية مأساوية[19].

مثال: لم يحقق **عامر نعمر** في رواية "**الدروب الوعرة**" أمنياته بعد أن رُفض من طرف أهل الحضارة الأوروبية، ومن الطبيعي أن يستفيق الوعي لدى عامر نعمر حول حقيقة الغرب ونظرتهم الدونية للشرق. استفاق من غفلته ليختار الاتجاه المناسب بعد انتظار عشرين سنة دون نتيجة، ماذا عساه أن يفعل بين مجتمعين، أحدهما متخلف، سبق وأن قطع الصلة به، والآخر متطور لم يفتح له أبوابه. لم يجهل عامر نعمر أن الجزائريين ينتمون إلى المعذبين في الأرض، فحالتهم في المهجر سيئة، لكنه لم يرض بتعاطف الفرنسيين المزيف تجاه هؤلاء الأوباش؛ فيقول: **(ولتعلموا أيها السادة المعذبين في الأرض بشر كسائر الناس فلا تعتبرونا كالوباء الذي يجتاح مدينتكم العامرة، إننا بشر ولا نختلف في شيء عن الايطاليين أو سكان منطقة بورجونيا أو سويسرا).** إنه بدء الوعي وإدراك الحقيقة، الذي عرف طريقه عند المغاربة، فشعروا بالاحتقار، والتمييز العنصري الذي يمارسه الغرب تجاههم، فيقول عامر نعمر: **(عندئذ أدركت أن لي وطنا وأنني سأعتبر دائما أجنبيا في غيره من الأوطان (...) صرت لا أطيق صبرا على بلادي).**

---

[18]- ينظر: إسماعيل حاجم، م س، ص 75-76.

[19]- ينظر: م ن، ص 8.

إذن، من الصعب أن يتشبع الفرد بالأفكار المثالية والتصورات الخيالية ثم ينكشف الغطاء ويتجلى الواقع المرّ. وعلى هذا، تغيرت نظرة عامر نعمر تجاه الفرنسيين في عدة مواقف وأحداث في فرنسا أيقظت الوعي لديه بحقيقة حقد الفرنسيين الدفين تجاه المغاربة، من هنا تبدأ رحلة البحث عن الذات بعد ما كان معجبا بهذه الحضارة الغربية، وثم تزول عنه النظرة التقديسية تجاه الفرنسي، ويدرك في الأخير أن الجزائر للجزائريين[20].

عاد عامر نعمر إلى بلاده اضطراريا، بعد أن فشل في التكيّف مع المجتمع الفرنسي الذي رفضه، راوده الشوق والحنين إلى وطنه فيقول: **(شعرت برغبة جامحة لزيارتها والتمتع بخيراتها والمشي فوق ترابها واستنشاق هوائها الساخن والتعرض لأشعة شمسها المحرقة والسير في دوربها المغبرة والتهام فواكهها اللذيذة ومغازلة بناتها السمر)**. إنه الحق الطبيعي والبديل الشرعي الذي كان يحلم به ويطلبه عامر نعمر، ففي الجزائر وطنه الأصل لا أحد يهينه ويقول له: **(اذهب إلى بلادك أيها الفأر الصغير)**[21].

تنويه: في رواية "**ابن الفقير**" لـ **مولود فرعون** رغم الاعجاب الذي أبداه **منراد فورولو** تجاه الحضارة الغربية، لا نلمس الصدمة الحضارية في هذه الرواية، وإن كان الكاتب قد ركز فيها على موضوع الهجرة من خلال رمضان أب فورولو. ونرجح ذلك إلى أن الأب رمز الجيل الأول، الذي لم يخضع لتأثير المثاقفة، لذا فسبب الهجرة كان اقتصاديا أي الحصول على الأموال لتحسين وضعيته المادية. فمن الطبيعي أن يندمج في مجتمعه الأصلي من جديد. وكما أشار الكاتب من خلال شخصية رمضان إلى بعض العراقيل التي واجهت المهاجرين بسبب جهلهم اللغة الفرنسية[22].

ويختلف الأمر في رواية "**الأرض والدم**" لـ **مولود فرعون**، وهذا يعود إلى تطور الحياة وتغير عقلية الأجيال. لم يعد **عامر أوقاسي** إلى وطنه عن طواعية واختيار، إذ لا نلمس تشكل الوعي عنده مثلما تجلى ذلك في رواية **مولود فرعون الدروب الوعرة**؛ كاد عامر أوقاسي أن

---

[20]- ينظر: إسماعيل حاجم، م س، ص 129 و 130.
[21]- ينظر: م ن، ص 157.
[22]- ينظر: م ن، ص 146.

يمحو صورة وطنه نهائيا لو استطاع التكيف والاندماج مع المجتمع الجديد، لكن الظروف حالت دون ذلك. قرر العودة إلى وطنه لأسباب كثيرة منها: تعبه هو وماري زوجته الفرنسية، من الإهانة والاحتقار والاذلال، اللامساواة والعنصرية وغيرها[23].

تناولت هذه الروايات إذن، موضوع الصراع الحضاري القائم بين الشرق المتخلف، منشأ الأبطال المغاربة المثقفين، والغربي المتقدم، الشمال المتفوق حضاريا. وعليه يبدو الصراع بين الحضارتين غير متكافىء إذ تستند إحداهما إلى حقها الطبيعي في أن تتنامى، لأنها في بلدها، والأخرى تتذرع بحقها المشروع في تحضير الشعوب.

[23]- ينظر: إسماعيل حاجم، م س، ص 146 و 147.